جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY
معهد ابراهيم أبو لغد للدراسات الدولية
Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies

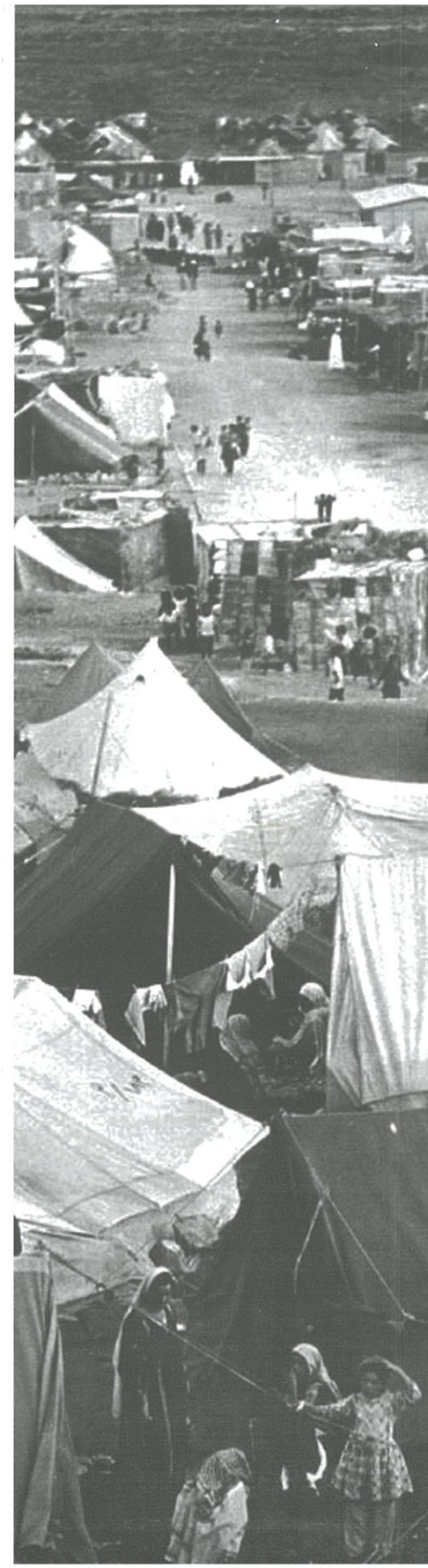

اللاَّجِئون الفِلَسطينيّون: حُقوق، وَرِوايَات، وَسِياسَات

2011

صورة فلسطين في روايات اللاجئين الفلسطينيين: دراسة مقارنة بين مخيم قلنديا في فلسطين ومخيم اليرموك في سوريا*

لورا عدوان

1. مقدمة

أمضيت الفترة الواقعة بين شهري تموز وكانون الأول سنة 2008 في مخيمي قلنديا في فلسطين واليرموك في سوريا، كنت خلالها أجوب أزقة المخيمين وحاراتهما وألتقي بلاجئيهما في بحثي عن الصورة الذهنية لفلسطين في روايات لاجئين ولاجئات من أجيال مختلفة، كنموذج للروايات الفلسطينية في حالتين للجوء، إحداهما خارج حدود السيطرة الاستعمارية المباشرة لإسرائيل، والأخرى داخلها. حاولت في هذه الدراسة تطويع أدوات البحث التي أمتلكها، وإفساح المجال للرواة الذين يعايشون الحدث لسرد رواياتهم عن فلسطين، باستخدام المقابلات المعمقة، وبمساعدة تقنيات منهجية النظرية المتجذرة (grounded theory).[1]

لقد أدركت منذ البداية أن "فلسطين" يصعب حصرها في صورة أو مجموعة صور، لكني لغرض البحث، وبعد مراجعتي لعدد من الأدبيات والدراسات النظرية والإمبريقية في المجال، قررت تحديد الأطر التي ستشكل صورة فلسطين في هذا البحث، ضمن المحاور الخمسة التالية التي ركزت حولها مشاهداتي وأسئلتي المفتوحة في المقابلات: 1) البعد المكاني الجغرافي الذي يحدده الرواة لفلسطين. 2) الشكل المادي الذي تتجلى به الصورة في حياة اللاجئين، بشكل عام، ومحيط المخيم بشكل خاص. 3) القيم والمعاني التي يسبغها اللاجئون على الوجود الفلسطيني. 4) البعد الزماني التاريخي الذي يتجلى في الأحداث الماضية التي يرويها اللاجئون في سردياتهم حول فلسطين والمعاني التي يعطونها لتلك الأحداث اليوم ورؤيتهم للمستقبل. 5) دور الفلسطيني، اللاجئ تحديداً هنا، في المشاركة في صناعة الحدث وكتابته من خلال الروايات التي جمعتها.[2]

---

* تختزل هذه المقالة فكرة وبعضاً من استنتاجات البحث الأكاديمي الذي أجريته لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في برنامج علم الاجتماع من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت بإشراف الدكتور شريف كناعنة.

1 قدمت شرحاً أوسع لمنهجية البحث وظروفه في الفصل الأول من تقرير الرسالة.
There are several references on 'grounded theory' and qualitative research methods, the two main references which I have used here are (Strauss and Corbin 1998) and (Charmaz 2006) they are listed in the reference's list at the end of this article.

2 طورت محددات صورة فلسطين في هذا البحث اعتماداً على تعريف ثوماس جييرن (Gieryn 2000) للمكان سوسيولوجياً بأبعاده الثلاثة (الموقع الجغرافي، والشكل المادي، والاستثمار في المعنى والقيمة). وبما أن وجود فلسطين كمكان في أذهان شعبها لم يتطور بالشكل الطبيعي نتيجة الحالة الاستعمارية التي كان اللاجئون أحد إفرازاتها، فقد أضفت لتعريف جييرن عاملين وجدتهما أساسيين لدراسة المكان في حالة التهجير القسري بفعل استعماري إحلالي، وفق ما توصلت إليه بعد مراجعة عدد من الدراسات حول الموضوع، هما: التاريخ (حيث تحل الأحداث التاريخية والسياسية التي عايشها اللاجئون حيزاً كبيراً من رواياتهم كما ظهر، على سبيل المثال، في دراسات الصايغ (7919, 1998)، وموعد (2002)، وجرار (2003)، والقلقيلي (2004)، وسرحان (2005)، وبيتيت (2005)، وميعاري (2005)، وعلان (2007)، وعمرو (2007)، ويحيى (2006, 2008)، ودور الفاعل الاجتماعي في بناء علاقته مع المكان.

لم يقتصر هدف الدراسة على جمع روايات شفوية غنية من لاجئين ينتمون إلى أجيال مختلفة في المخيمين، لكنها سعت إلى فهم المؤثرات التي تسهم في تشكيل الروايات المختلفة، وذلك من خلال قراءتها في ضوء الشرط الاستعماري والظروف التي أنتجتها القوى الخارجية والداخلية المسيطرة على الفضاء الفلسطيني اليوم. والشرط الآخر الذي لا يقل أهمية هنا، هو التحول في الخطاب الرسمي الفلسطيني بعد أوسلو، الذي نقل المشروع الوطني الفلسطيني الرسمي من مشروع تحرير وعودة إلى الوطن، إلى مشروع دولة فلسطينية على جزء من الأرض، مع تأجيل بحث موضوع اللاجئين إلى أجل غير مسمى.[3] واستدعى هذا بدوره ربط روايات اللاجئين بالظروف المادية والاجتماعية والسياسية التي يعيشونها بفعل استمرار حالة اللجوء، وتغييبهم من المشاريع السياسية من جانب، وبالأيديولوجيات السياسية و/أو الحزبية و/أو الفكرية المهيمنة في الحيز الفلسطيني والعربي والعالمي من جانب آخر، حيث لم يعد المخيم، في الحالتين اللتين يغطيهما هذا البحث على الأقل، جزيرة معزولة عن البيئة التي حوله، فساكنوه، كسكان محيطه، يختلطون بالمحيط المحلي في حياتهم اليومية، وبالمحيط العالمي من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وبحدود أقل من خلال المؤسسات الأجنبية العاملة في البلدين.

باختصار، ينصب تركيز هذه الدراسة على الرواية/ات الوطنية الفلسطينية وتحليلها، بغية التعرف على العوامل الرئيسية التي تسهم في بناء هذه الروايات عند الفئة المبحوثة هنا، اللاجئين، خلال فترة تاريخية يسودها التخبط وعدم الوضوح في الخطابات السياسية الفلسطينية الرسمية، الصادرة عن الفصائل والأحزاب الفلسطينية، وبخاصة تلك المتعلقة بمستقبل فلسطين بشكل عام، وبقضية اللاجئين بشكل خاص.

ركزت الدراسة التي أجريتها على حالة محددة من الجماعات المُهجّرة وهم اللاجئون الذين اقتلعوا من أراضيهم سنة 1948، نتيجة لعمليات ممنهجة من التطهير العرقي كما أورد العديد من الدارسين (كناعنة 2000؛ الصباغ 2005؛ بابه 2007). إلا أن هذا لا يعني أن أثر الاقتلاع والتشرد اقتصر على اللاجئين فقط، فلا يزال الفلسطينيون الباقون ضمن حدود فلسطين الانتدابية، سواء في الجزء المحتل سنة الـ 1948، أو في القدس، أو في الضفة الغربية وقطاع غزة، يعانون من الاضطهاد وخطر الاقتلاع والتشريد: " الاحتلال بحد ذاته وما يترتب عليه من نتائج يمكن قراءته كشرط تشتيتي *(diasporic condition)*. ومن هذا المنطلق، فإن سكان الضفة الغربية وقطاع غزة يعانون من عملية اغتراب مستمرة عن الأرض" (Hanafi 2006). لكن شروط اللجوء؛ أي تجربة الاقتلاع والتشريد التي عاناها اللاجئون، والتهميش الناجم عن العيش في مخيمات تختلف عن المجتمع المحيط، لا بد وأن تُعمق الإحساس بالاستلاب والاغتراب، مع

3 اتفاق أوسلو هو اتفاق سلام تم توقيعه بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل في واشنطن بتاريخ 13/9/1993, سمي باتفاق إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكومة الانتقالية الذاتية، اعترفت منظمة التحرير بموجبه بإسرائيل رسمياً، ونص على إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية (سميت فيما بعد السلطة الوطنية الفلسطينية) ومجلس تشريعي منتخب في الضفة الغربية وقطاع غزة، ونص الاتفاق على تأجيل المفاوضات حول القضايا الخاصة بالقدس، واللاجئين، والمستوطنات، والحدود، والترتيبات الأمنية إلى وقت لاحق في إطار مفاوضات الحل النهائي، كما نص على إنشاء قوة شرطة فلسطينية لضمان النظام العام في الضفة الغربية وقطاع غزة.

أن درجة الاختلاف تتباين حسب الوضع السياسي والاقتصادي للمحيط المضيف، بما يجعل بعض المخيمات تبدو للوهلة الأولى أشبه بأحياء الصفيح، أو مأوى الفقراء (هذا ما لمسته بمعاينة مخيمات لبنان وبعض مخيمات غزة)، بينما تتشابه مخيمات أخرى مثل مخيم اليرموك مع الأحياء الحضرية المجاورة لها، بما يتوفر فيها من خدمات وبنية تحتية وأماكن ترفيهية. وقد عبر الكثيرون ممن قابلتهم في مخيمي قلنديا واليرموك، وبخاصة من الجيلين الأول والثاني، عن شعورهم بأن المخيم يعطيهم الإحساس بالأمان والحماية والقوة والانتماء. ومن الإستراتيجيات التي يلاحظها أي زائر للمخيم، قيام اللاجئين بإعادة بناء الروابط العائلية والقروية التي كانت سائدة في البلاد قبل التهجير، حيث غالباً ما يجتمع أفراد العائلة أو الحمولة وأحياناً البلد الواحدة في المنطقة نفسها في المخيم، وتأخذ المنطقة اسمها من اسم العائلة (حارة المواعدة نسبة إلى آل موعد من صفورية في مخيم اليرموك)، أو اسم البلد الأصلي في فلسطين (حارة ساريس، أو صرعة في مخيم قلنديا، وشارع لوبية تجمع عائلة الشهابي في مخيم اليرموك والشهير بسوقه الكبير، وحارة المغاربة في مخيم اليرموك، التي تضم عائلات من أصول جزائرية كانت تعيش في فلسطين، حين حدث التهجير في عام 1948).

بقراءة تحليلية مقارنة للمادة التي حصلت عليها من مشاهداتي في المخيمين ومقابلاتي مع المبحوثين،[4] تشكلت صور لفلسطين بنتها روايات وأصوات متعددة. فالوضع الذي يعيشه اللاجئون هو وضع كولونيالي/استعماري بامتياز، يتضمن الاستلاب والطرد والسيطرة. إضافة إلى الفروقات الناتجة عن تمايز الرواة في العمر، والجنس، والموقع الطبقي الذي يتحدد بشروط إعادة إنتاجهم لذواتهم وخياراتهم الحياتية: التعليم وفرص العمل المتوفرة للاجئ ولعائلته، وهذه جميعها تحدد بالتالي الصور والمعاني التي يركبها الرواة لفلسطين اليوم في ظل الصراع الثقافي/الإيديولوجي بين أيديولوجيا الطبقات المهيمنة في المكانين، وخيارات أو اختيارات الأفراد للتماهي معها أو مقاومتها، إما بالتسلح بإيديولوجيات أخرى، وإما بقراءة جديدة للوضع الفلسطيني ولخياراتهم فيه.[5] يقدم هذا المقتطف لأحد الرواة بعض ملامح صورة فلسطين التي بنتها الاثنتان وثمانون رواية التي جمعتها:

" أحلامنا هي أحلام مؤجلة وشكل الواقع القميء، ما بيسمحلك تحكي بأريحية، إذا بتحكي بأريحية بتضحكوا عليك العالم، يعني هيك صرت تحسي، إنه أنا بدي أرجع على فلسطين وحق العودة والشجرة وبدنا نقعد تحت الشجرة ونزرع: إيه أنو شجرة وأنو تراب؟ ... يعني بتطلعلك القضايا الواقعية على الأرض: صراع فلسطيني–فلسطيني، وعدو إسرائيلي ما برحم، ووضع إنساني مخيف جداً، يعني دولة عربية مسكرة معابرها، أنو شجرة؟ وأنو أحلام جميلة؟ يعني حتى فلسطين الدولة وما بعد الدولة هي أمر غيبي وأمر ضبابي .. أمر غير مفهوم .. يعني مالها بهالجمالية .. لهيك صار الواحد يحكي إنه أخي بهاي الفترة ما بدنا شي، بدنا تظل فلسطين

---

4 ركزت في دراستي على الجيلين الثاني والثالث من اللاجئين؛ أي من ولدوا خارج فلسطين المحتلة سنة 1948، أو من خرجوا منها أطفالاً –أقل من ست سنوات– إثر تهجير أهلهم، لكن الصدفة أتاحت لي إجراء ثلاث مقابلات مع راويين وراوية أكبر سناً من مخيم قلنديا، بلغت أعمارهم سنة 2008، حين أجريت البحث 71، و76، و80 عاماً.

5 يظهر تأثير البعد الطبقي واضحاً بمقارنة روايات كل من النمط الواقعي السياسي والنمط المحبط.

بس حلم، فقط حلم لأنه الواقع راح يكون قميء جداً، يعني راح يكون سيئ، وأثبتت أحداث غزة إنه الواقع سيئ، يعني من يحاصر الفلسطينيين هم المصريون: العرب عم بحاصروا فلسطين، يعني الفلسطينية عم بقتتلوا في الشوارع ... ما بعرف هذا الطريق القذر اللي ودونا فيه، والأمور المحزنة جداً، يعني مشان هيك: فلسطين الحلم أجمل من فلسطين الواقع ربما!".[6]

هذا جزء من صورة فلسطين التي سردها جزء من الفلسطينيين الذين يشكلون الوجود الفلسطيني، ومع ذلك يُمنَعُون من التدخل في صناعته إلا ضمن الحدود التي تعيد إنتاج علاقات السيطرة الاستعمارية القائمة. إن وجود روايات متنوعة ومختلفة في المضمون والشكل لفلسطين، يعكس تنوع الفاعلين الاجتماعيين وأدوارهم أولاً، والحالة المعقدة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني في ظروف الاضطهاد والاستلاب والاقتلاع المستمرة نتيجة تضافر عوامل عدة ثانياً. أبرز هذه العوامل، كما يظهر في روايات اللاجئين الذين قابلتهم هو السيطرة الاستعمارية المباشرة؛ والهيمنة التي يفرضها أطراف عدة: السلطة الحاكمة، الأحزاب السياسية، المؤسسات الأخرى: العائلة، الجهة المشغلة أو المانحة للفلسطيني ... الخ؛ إضافة إلى ظروف اللجوء المادية والنفسية؛ والمؤثرات الإعلامية والفكرية والسياسية التي تتعدد منابعها في زمن العولمة.[7] وهناك عامل آخر هنا هو اللاجئ الفلسطيني في لحظة فعل الرواية، وهذه اللحظة، هي الأخرى مكبلة

---

6 مقتطف من رواية سجلتها مع شاب في مخيم اليرموك في شهر آب 2008.

7 اعتمدت في قراءتي للروايات على عدد من المداخل النظرية بما يسمح بفهم أعمق للمعاني المباشرة لسرديات الرواة/ اللاجئين، وتلك المستترة بحد تعبير سكوت في كتابه المقاومة بالحيلة (سكوت 1995, 34). ووجدت تشابهاً في صيغ ومضامين الروايات التي جمعتها مع تلك التي أوردها فانون (1972) في شرحه لمفاهيم السيطرة وصيغ المقاومة للاستلاب والاضطهاد التي عايشها الجزائريون في فترة الاستعمار الفرنسي، كما بينت في الفصل الثالث من تقرير الرسالة. واعتمدت على مفاهيم عدد من المنظرين: ماركس، هايدغر، دركهايم، سارتر في قراءة نماذج الاغتراب والإحساس بالضياع والاستلاب والأنومي– اللامعيارية الذي يعيشه الفلسطينيون كأفراد وجماعة. وفي قراءتي لهيمنة الخطاب الحزبي والرسمي في بعض الروايات، اعتمدت على مفهوم الـ (hegemony)، بالمعنى الذي طوره غرامشي كجزء من نظريته حول المجتمع المدني؛ أي الهيمنة الأيديولوجية أو هيمنة أيديولوجيا الطبقة الحاكمة، التي تشكل مصدراً رئيسياً لفرض سيطرتها دون الاضطرار للجوء إلى القوة، بمعنى أن تغلغل هذه الهيمنة ضمن مسار الحياة اليومية للناس وفكرهم، تجعلهم في وضع من يطبق أيديولوجيا السلطة، معتقدين أنهم يقومون بذلك بمحض إرادتهم. ولعل أكثر مظاهر الهيمنة بروزاً –في المجتمعات الحديثة– هو قمع الآراء المختلفة من خلال تأسيس معايير تحدد ما هو الشرعي، والممكن، والعقلاني، والعملي، والجيد، والحقيقي، والجميل. ويعد التعليم ووسائل الاتصال من أهم الأدوات لتكريس السيطرة. وإحدى النتائج التي تنجم عن عملية الهيمنة (*hegemonic process*) هي أن غالبية السكان يصبحون غير مدركين لوجود خيارات بديلة من القيم، وقراءات أخرى مختلفة للتاريخ (Sallach 1974، 41). وهذا ما شرحه ألتوسير في نقده للمناهج الدراسية؛ كونها ليست مكاناً محايداً كما تحاول الأيديولوجيا المسيطرة أن تصورها، بل إنها حلت مكان الكنيسة لتلعب دوراً حاسماً في تجديد إنتاج علاقات إنتاج نمط معين من الإنتاج، مهدد في وجوده بصراع طبقي عالمي. وبما أن الأفراد هم القوة الرئيسية للإنتاج، فيتوجب إعدادهم إعداداً جيداً ليؤدوا دورهم في سوق العمل في المجتمع الرأسمالي، وهنا يأتي دور التربية والتعليم، وأهم مؤسسة فيها وهي المدرسة التي صنفها ألتوسير على أنها من أهم أجهزة الدولة الأيديولوجية، لاسيما أنها الجهاز الوحيد الذي يتمتع بمستمعين مكرهين، خمسة إلى ستة أيام أسبوعياً، وثماني ساعات يومياً (ألتوسير 1981, 97).

بتأثير العوامل نفسها، يُضاف إليها ظروف الباحثة والبحث. ويظهر تأثير جميع هذه العوامل بدرجات متفاوتة في الروايات التي جمعها هذا البحث.

يشكل اللاجئون في المكانين صوراً مختلفة لفلسطين أفردت لها فصلين في التقرير النهائي للرسالة ضمن عنوانين: صورة فلسطين الواقع، وصورة فلسطين الأحلام وفقاً لدرجة اقتراب أو ابتعاد الصور التي يرسمها الرواة من صورة فلسطين "المسموح بوجودها" اليوم، بتأثير العوامل التي ذكرتها أعلاه. تعكس الصورتان غياب سردية وطنية موحدة بين الفلسطينيين، ويمكن إيعاز ذلك إلى التشتت الجغرافي للفلسطينيين كشعب وقيادات، وغياب أجهزة الهندسة الاجتماعية التي تسهم في نمو مقومات الهوية الموحدة: النظام التعليمي، الأحزاب والحركات السياسية، لتُنتج صورة لفلسطين تخدم غاياتها العملية، كما يوضح هوبسباوم: "سواء أكانت الهوية القومية أو الوطنية **تقاليد مخترعة**، فهي موضوعة في خدمة "غاية عملية"، تهدف إلى صناعة مجتمع ودولة يرتبطان ببعضهما بشكل متزايد" (Hobsbawm 1983 , 13 -14). والصورة الأبرز في الحالة الفلسطينية اليوم للناظر إليها من على السطح السياسي هي الانقسام بالنسبة إلى مشروع بناء الدولة في الداخل والخارج على السواء، لكن هناك صوراً أعمق يراها فقط من ينغمس بين الناس الذين ما زالوا يصارعون للحفاظ على إنسانيتهم وسط شرط استعماري كولونيالي ما زال مستمراً منذ سايكس بيكو.

2. السرديات/الروايات وآليات بناء الذاكرة والمخيال الاجتماعي

بالعودة إلى المنظرين السوسيولوجين، تُظهر فكرة دوركهايم أن كل مجتمع يحتاج إلى أن يشعر باستمرارية الماضي، وأن هذا الماضي هو الذي يمنح الأفراد والجماعات هويتهم، هذه الفكرة تسمح لنا برؤية **الذاكرة الجماعية** كأحد الأشكال المهمة للحياة الاجتماعية (Misztal 2003, 124). وقد تبلورت، الفكرة، من اهتمام دوركهايم بالماضي كحقيقة اجتماعية. "فحين نتذكر، لا نتذكر كأفراد بل كأعضاء في مجموعات محلية أو قومية. يتحدد ما نتذكره من ماضينا بما يخبرنا به آباؤنا وأجدادنا، بمعنى آخر أكثر عمقاً، فإننا نعرف أنفسنا من خلال الذكريات الباقية من المجموعات التي ننتمي إليها. وعندما تتزامن الحدود الجماعية مع الذكريات المشتركة، فإننا نشعر بالفخر أو بالخجل من الأحداث الماضية، التي قد تكون وقعت قبل أن نولد (Schwartz 1996, 278). ويضيف هالبواكس (Halbwachs)، تلميذ دركهايم، في السياق نفسه: "قد يقول أحدهم إن الفرد يتذكر من خلال موضعة ذاته ضمن منظور الجماعة التي ينتمي إليها، ولكن في الوقت نفسه، يمكن أن يُقال إن ذاكرة الجماعة تتحقق وتبرز أيضاً من خلال ذاكرة الفرد" (Halbwachs 1992, 40). وبهذا يُحمّل هالبواكس الذاكرة وظيفة اجتماعية، ففي كتابه الذاكرة الجماعية (On Collective Memory)، قدم هالبواكس تصوراً جديداً للكيفية التي يبني عبرها الأفراد روايتهم للماضي، منطلقاً من أن الأفكار والاهتمامات والطموحات التي يحملها الأفراد في الحاضر تؤثر في تشكيلهم لرؤى مختلفة للماضي.

حاولت مقاربة تفسير هالبواكس على السياق الفلسطيني الحالي؛ لكن الأمر لا يبدو بهذا

الوضوح، فمن الصعب موضعة أفكار الفرد ضمن جماعة محددة، وبخاصة في وقت اتسع فيه انتشار المؤثرات الإعلامية والفكرية، لتتجاذب الفرد منا قوى عديدة فاعلة في الداخل والخارج، بعضها ملموس (ضمن المحيط المادي الذي يعيشه الفرد) والكثير منها يأتيه من خلال عوالم توصف بالافتراضية (جماعات الاهتمام المشترك على الإنترنت والفضائيات). ما أود قوله هنا، باختصار، هو أن وجود كل هذه العوامل يجعل تحديد الإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد من الصعوبة بمكان. حتى وإن كان الحيز المكاني، كالمخيم، الذي يقطن فيه الرواة/ المبحوثون حيزاً محصوراً، ويمكن تخطيط حدوده الفيزيائية بوضوح، إلا أن التحديد المكاني وحده غير كاف. فهناك العديد من المؤثرات التي تلعب دوراً في تشكيل الفضاء العام والخاص للأفراد الذين يسكنون المخيم. والعامل الآخر المهم الذي لم يأخذه هالبواكس بعين الاعتبار هو الدور الذي تلعبه الشروط المادية التي تسمح للفرد والمجموعات بالوجود وإعادة إنتاج وجودهم، فهذه بلا شك ستلعب دوراً في بناء وتحديد الإطار الجماعي الذي ينتمي إليه الفرد مدفوعاً بدرجات مختلفة بين الرغبة الفردية أو الإكراه بسبب تبعيته لعائلته أو مشغّله، فحينها قد يضطر إلى تشكيل ذاكرته لتتناسب وفكر أو أيديولوجيا الجماعة التي تتحكم بمصدر رزقه، حتى لو لم يكن مقتنعاً بهذا الفكر في قرارة نفسه، ليدخل الفرد في حلقة أخرى من الاغتراب. وفي مقارنته الذاكرة بالتاريخ، يجادل هالبواكس أنه بينما توجد طبعة واحدة فقط للتاريخ، توجد ذاكرات جماعية عديدة (*several collective memories*) (Halbwachs 1992, 38). يبدو هنا وكأن هالبواكس يصف التاريخ بالموضوعية، مقارنة بالذاكرة، مع أنه هو أيضاً مرهون بذاكرة من يقوم بتسجيله.

قدم بيير نورا (Pierre Nora)، مقارنة مختلفة قليلاً بين التاريخ والذاكرة، فهو يقارن بين التاريخ المصطنع، كما يسميه، والذاكرة الحقيقية ليجادل بأن الذاكرة بطبيعتها حية، بينما التاريخ لا يخضع فقط للبناء وإنما لإعادة البناء. وخلال دراسته للهوية الجماعية الفرنسية، اقترح نورا، مفهوم أماكن الذاكرة (*Les Lieux de Mémoire*) التي تشير إلى أي "كينونة أو وجود مميز، بغض النظر إن كان مادياً أو رمزياً، الذي أسهم التدخل البشري أو مرور الزمن في تحويله إلى أحد الرموز التي تشكل الذاكرة التراثية لأي مجتمع" (Nora 1996, xvii).[8] ويعزي نورا تكثف الذاكرة بشكل مستمر في أحاديثنا اليومية إلى غيابها المادي عن حياتنا: "Memory is constantly on our lips because it no longer exists". بعد أن تم تذويب الذاكرة في السرديات الكبرى (*metanarratives*) للتاريخ. وكما جاءت السرديات الرسمية للتاريخ لتحل محل التقاليد والأعراف والخبرة المعاشة للأحداث، جاءت أماكن الذاكرة لتتكثف ذكريات أحداث مضت حول النصب التذكارية والأعمال الفنية والكتب التاريخية وأيام الذكرى السنوية، فتحل محل العوالم الحقيقية التي عايش فيها الناس الأحداث الماضية. فتشعر، بحد تعبير نورا، وكأن "أماكن الذاكرة" جاءت لتقول باستحالة وجود الذاكرة بشكلها الطبيعي والعفوي (Schwartz 1998, 66).

8 Sites of Memory. https://tspace.library.utoronto.ca/citd/holtorf/2.6.html, retrieved on 16 April 2009.

وَصفُ نورا للطريقة التي تم بها ترسيم (من رسمي/عكس شعبي) الذاكرة الجماعية الفرنسية لتتجمع مشاعر الحنين (*Nostalgia*) والحزن والافتخار حول "أماكن الذاكرة"، يثير التساؤل حول الشكل الرسمي الذي تطورت به الذاكرة في الحالة الفلسطينية، مع أخذ خصوصية الحالة بعين الاعتبار:[9] فهل تحولت التجارب المُعاشة للاستلاب والاقتلاع التي ما زال الشعب يعيش آثارها إلى اليوم إلى مجرد أماكن للذاكرة في السردية الرسمية الفلسطينية؟ وأين "النكبة" و"المخيم"، على سبيل المثال من أماكن الذاكرة التي يصفها نورا؟ "ففي حين كانت القيادة الفلسطينية ترى في المخيم، في فترة الثورة، مخزناً للفدائيين والشهداء والأمهات اللواتي يُنتجن شباباً تستهلكهم دروب العودة إلى الوطن، يبدو أنها أعادته إلى السبات اليوم" (دراج 1996، 17). وقد يكون هذا أحد العوامل التي أدت إلى تعميق مشاعر الاغتراب لدى اللاجئ، الأمر الذي يظهر بجلاء في روايات اللاجئين الذين قابلتهم، وينعكس من خلال ردود فعل مختلفة لديهم كما يتضح في تحليلي لروايات اللاجئين حول المخيم.

وإذا نظرنا إلى الذاكرة الجماعية من ناحية الوظيفة التي تقوم بها، فهي تعتبر أحد الأسس المهمة لبناء الشعور القومي والهوية القومية، فالذاكرة الجماعية "ليست شيئاً خامداً سلبياً، وإنما هي مجال فعالية يتم في إطاره انتقاء أحداث الماضي وإعادة بنائها وصونها وتحويرها ومهرها بالدلالات السياسية" (سعيد 2002، 101). وقد تساعد دراسات هالبواكس ونورا التي استعرضتها باختصار هنا في فهم عملية بناء الذاكرة الجماعية للأحداث الماضية، وعمليات إعادة بنائها بما يلائم حاجاتنا الحاضرة،[10] "لتتحول الذاكرة إلى رموز مادية ظاهرة تستبدل المعاني الضمنية التي تحملها الأحداث في حياة من عايشوها" (Olick and Robbins 1998, 121)، بما أن الذاكرة هي أحد المكونات الرئيسية التي تُبنى عليها الروايات التي تهتم بها هذه الدراسة. إلا أن تحليلات هالبواكس ونورا – التي تستند إليها الكثير من الدراسات الحديثة عن الذاكرة الجماعية، فتحلل دور النسق الجمعي والمؤسسات الاجتماعية والرسمية في بناء ذاكرة الأمم وسردياتها[11] – لا تقدم مفاتيح جاهزة لتفسير عملية بناء الذاكرة والسرديات الوطنية في جميع الحالات، وبخاصة في حالة الاقتلاع من المكان: "فهدم المكان وضياعه، لا بد أن يترك آثاراً

---

9 لا يمكن قراءة تجربة اللجوء الفلسطيني خارج إطار الشروط التي شكلتها وتعيد تشكيلها: أولاً، الشرط الخارجي الاستعماري الذي ما زالت آثاره مستمرة في المكانين بدرجات متفاوتة كما يظهر في روايات اللاجئين (الاحتلال الإسرائيلي هو امتداد زمكاني للاستعمارات المتلاحقة، يتعدى فلسطين جغرافياً، ويسبق 1948 تاريخياً بقرن، منذ نشأة الاستعمار الغربي الحديث)، وثانياً، حالة اللجوء القسري والعيش في مخيمات مبعثرة داخل فلسطين وخارجها – لأكثر من 62 عاماً – وإن تغيرت بنية المخيمين المادية والديموغرافية بمرور الزمن، وثالثاً، الشرط الداخلي الفلسطيني ببعديه السياسي الرسمي والشعبي.

10 As Halbwach declares that our understanding of the past is always instrumental to the solution of present problems quoted in (Schwartz 1982, 376).

11 I noticed that several research works on the building of memory and national narratives are based on Halbwachs' and Nora's interpretations and representations of collective memory. See for example: Barry Schwartz's articles (1982, 1991, 1996, 1998), Jeffrey Olick (1998), articles' titles are listed in the reference section at the end of this article.

هدامة على التاريخ وعلى الذاكرة والهوية بصيغتيهما الفردية والجماعية،"[12] ما يؤسس لدور أكبر لعملية المخيال الاجتماعي، التي تنعكس في السرديات الشعبية للشعوب المضطهدة، والتي تتحكم في إنتاجها القوى والأيديولوجيات المسيطرة، كما ورد في وصف إحدى الباحثات في الحالة الأرمنية، فهنا وإن غاب الشكل الحداثي للدولة، فإن هذه الشعوب تلجأ إلى أشكال أخرى من عمليات الهندسة الاجتماعية من خلال مبادرات تعليمية تقوم بها مراكز بحثية ومنظمات سياسية في محاولة نشطة لإعادة إنتاج "الأمة المسموح بوجودها"(permitted nation) (Barseghyan 2004, 13). ويمكن أن أستعير هنا تعبير الباحثة للحديث عن "الوجود الفلسطيني المسموح به".

فما هو شكل الوجود الفلسطيني في روايات الفلسطينيين اليوم؟ هل يتحدد بالشرط الواقعي "المسموح به" أم يتسع به المخيال الاجتماعي ليتجاوز حدود الزمان والمكان للوجود الفلسطيني المبعثر اليوم؟

إذا حاولنا مقاربة أفكار نورا وهالبواكس على الحالة الفلسطينية المدروسة هنا، لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار غياب دور الدولة في خلق ذاكرة جماعية عن المكان وتاريخه في الوقت الذي يخضع فيه الوجود الفلسطيني المشتت جغرافياً لشرط استعماري ينفي جزءاً من الأرض والسكان، ويطبق سيطرته العسكرية على الجزء الباقي. بينما السلطة الحاكمة الفلسطينية محكومة باتفاقيات لا تحقق لها أية سيادة على التجمعات الفلسطينية المشتتة، إضافةً إلى أن استمرار وجودها مرهون بالالتزام بأيديولوجيا التسوية التي تعني هدم الرموز الجماعية التي كانت تؤسس للهوية الوطنية الفلسطينية والذاكرة الجماعية، وأبرزها: نكبة عام 1948، اللجوء، العودة. لكن هل يؤدي غياب قيادة تُعنى بالذاكرة الجماعية بالضرورة إلى تغييب الذاكرة لدى الفلسطينيين أفراداً ومجموعات؟

هذا ما حاولت التعرف إليه من خلال جمعي للروايات الشفوية من لاجئين يعيشون في مخيمين مختلفين. فالمخيمات كانت جزءاً لا يتجزأ من الذاكرة الجماعية للنكبة، حيث يلجأ اللاجئون المنفيون عن أرضهم إلى أساليب مختلفة لإعادة خلق وطن يشكل امتداداً لجذورهم في الماضي، ويحقق طموحاتهم المستقبلية. لكن المخيم، في الوقت نفسه، من خبرتي السابقة في العيش فيه، وكما ظهر في الأبحاث التي استعرضتها في المراجعة الأدبية، هو فضاء مكاني يشكل حالة تهميش واغتراب لقاطنيه عن محيطهم، ما يعزز الحاجة إلى إعادة بناء الوطن السليب في الخيال. وهذا يتوافق مع ما توصلت إليه الباحثة ليزا مالكي، بأن الأرض أو الوطن، في حالة اللجوء/النفي، يميل إلى أن يكون أقرب إلى الميتافيزيقي والرمزي منه إلى الحقيقي. وأن العلاقة بين مفاهيم الأرض، والنفي أو اللجوء والمقاومة هي علاقة معقدة. فاللاجئون في مخيمات اللجوء يعيدون خلق صورة لوطنهم ليساعدهم ارتباطهم بهذه الصورة الذهنية في إعادة موضعة أنفسهم في المكان والزمان الجديدين (Malkki 1992, 35). تلعب المتخيّلة دوراً مهماً في البنية العقلية. فهي تربط أعمق طبقات اللاشعور بأعلى نتاجات الشعور (بالفن)، الحلم بالواقع. وهي تحرس نماذج النوع، والأفكار الخالدة ولكن المكبوتة، للذاكرة الفردية والجماعية (ماركوز 2007، 159).

12 Fullilove, as quoted in Gieryn 2000, 482.

كما يظهر في روايات الفلسطينيين في الأبحاث التي راجعتها وفي هذه الدراسة أيضاً، تتخذ فلسطين صوراً مختلفة في الخيال، الماضي الجميل، وبخاصة بين فئة اللاجئين الأكبر سناً، فحين تسأل واحدة من العجائز الفلسطينيين عن الحياة في فلسطين قبل تهجير 1948، تسمع أغلبهم أنَّ يقول "كنا عايشين في الجنة"، وقد تُعتَبَر هذه الفكرة من قبل الواقعيين منا يوتوبيا، لكن الفلسطيني الذي كان يعيش معتمداً على خيرات أرضه بحياة فلاحية أقرب إلى البساطة، لا بد أن يستعيد الماضي في خياله كالجنة مقارنة بالحاضر البائس في المخيم، ورغبة منه بمستقبل مختلف. ولا يقتصر الخيال على العودة إلى الماضي، وإنما كما قال ماركوز قد يتجه خيال الفرد به إلى المستقبل، وهو ما ظهر في هذا البحث في روايات النمط الحالم بالغد الأجمل، ليصنع الراوي ماضي فلسطين في خياله بما يلائم الصورة التي يريدها لفلسطين المستقبل. وأحياناً يلجأ الرواة إلى الخيال الإبداعي، المسرح، مثل الشابة الصفورية في مخيم اليرموك التي اختارت أن تخبرني بروايتها عن فلسطين من خلال العمل المسرحي الذي كتبته: ويبدأ بقصة الاقتلاع التي ترويها بسرد قصص ثلاث فتيات جمعتهن صداقة قديمة على أرض الوطن، تجسدت مادياً في صورة التقطها لهم مصور لتحتفظ كل منهن بنسخة منها. لكن الفتيات يفترقن بفعل الاستعمار القسري في العام 1948، لتذهب كل واحدة منهن في اتجاه، وتنتهي قصة المسرحية بالتقاء الفتيات عندما يكبرن، ويظهر هذا اللقاء الشخصي بينهن كتعبير عن حلم يعيش في خيال الراوية لإعادة تجميع أجزاء الوطن بمكوناته الثلاثة: أهل الضفة وغزة، لاجئو المخيمات، فلسطينيو عام 1948:

*"عملي المسرحي بحكي عن أوجاع فلسطين، هن كانوا بمنطقة واحدة بفلسطين، وصار الاحتلال وتبعثروا، واحدة رجعت على الضفة لأنها بالأصل من نابلس، وواحدة طلعت لبرّا، وواحدة بقيت. أنا عملت شوية تحليل، إنه كيف كانوا وشلون طلعوا، عملت دراسة وحكاية. واحدة منهن لما صارت حرب الـ 48: إنه كيف طلعونا، حدا طلع، حدا بقي وحدا هرب، تخبى بالكنيسة. أنا عاملتها بكنيسة، لأنه جزء كبير من قرايبنا تخبوا بدير بصفورية. فأنا عملت المسرحية بشكل إلو علاقة بالحكايا اللي بذاكرتي .... أطفال كان عمرهن ثمان سنوات رجعوا التقوا بعد خمسين سنة ببلد أجنبي لأنه الثلاثة ما قدروا يلتقوا على أرض الوطن. والثلاثة عندهن حلم، اللي برا، صارت مصورة شهيرة بالعالم. وعندها حلم إنها ترجع على فلسطين، بتصور كل الدنيا إلا فلسطين ما قدرت تصورها. والبنت اللي في نابلس بتحكي عن وجعها، وجع الاحتلال ووجع الشهداء ووجع القهر. والبنت اللي في الـ 48 بتحكي عن وجع الجنسية الثانية ومعاناتها إنه أنت بأرضك القريبة منك بتشوف الحقل والورد بس صعب تقطف منها وتشمها، بس هي بترسم الصورة لأنها صارت فنانة. **أنا بحكي بهاي المسرحية عن هاي البنت اللاجئة اللي هي احنا**، بتجسد هاي المسرحية أكثر شي صوتنا ومتضمن فيها الشخصيات الثلاثة كون صورة الضفة واضحة بالأعلام، والـ 48 ما كثير واضحة بس المعاناة هي القبول بالجنسية الثانية، وأحد الحوارات هي: "قبلنا بالجنسية الإسرائيلية على مضض، قالولنا يا بتقبلوا بالجنسية، يا مكانكم مثل غيركم برا، فقلنا: بقينا، قبلنا بجنسيتهم مرغمين، قلنا الكحل ولا العمى". فأنا من خلال هذا العمل عم بحكي عن هاي الثلاث شخصيات وبحكي عن الحلم."* [13]

13 من مقابلة أجريتها مع شابة في مخيم اليرموك خلال شهر آب 2008.

يُظهر هذا المقطع كيف يوظف اللاجئ خياله لخلق صورة لفلسطين أجمل من صورة الواقع وممكناته المستقبلية: تستخدم الراوية هنا مهاراتها المسرحية والإبداعية والبحثية لتعيد بناء قصتها لفلسطين بما يحقق حلمها باتحاد الأجزاء المبعثرة، فترسم صورة لفلسطين كما تحلم أن تراها. ويظهر من خلال الرواية تداخل عناصر عدة: الذاكرة والخيال والقراءة والبحث في بناء سردية فلسطين. قد يكون هذا نموذجاً فردياً، بما هو عمل ينتجه الخيال الإبداعي الفردي، ويعبر عن طاقات الفرد المبدع واهتماماته، لكنه يلعب أيضاً دوراً في بناء الذاكرة العامة كما يبين أندرسن في كتابه **الجماعات المتخيلة** حين بدأ جدالاً مهمّاً حول العلاقة بين الأدب، لاسيما الرواية، وبين القوميّة (أندرسن 1999، 55)، حيث يشير إلى الدور المهم للرواية في تكوين القوميّة وبنائها عَبر كونها وسيلة معاصرة لتمثيل الجماعة المتخيَّلة. في الرواية، ثمّة شخصيّات عدة تقوم بأدوار مختلفة بدون أيّ رابط، وبدون أن تعرف الشخصيةُ الواحدة الأخرى. القارئ هو الذي يرى الأحداث بتزامن بينها، وهو الذي يعرف انتماء كل الشخصيّات للمشهد الاجتماعي نفسه. الأحداث في الرواية موازية – بحسب أندرسون – لـ "الجماعات المتخيَّلة". في هذا السياق، يمكن القول إن الأدب يروي للجماعة حلمها المشتَرك، أو يُنسيها أحداثاً مأساويّة عايشتها، من خلال إحيائه لبعض الذكريات أو إقصائه لها عن الذاكرة الجماعية، ممّا يسهم في صقل خيال واحد وذاكرة واحدة.

يُظهر الانقسام في السردية الفلسطينية المجموعة في الدراسة صورتين لفلسطين: فلسطين "المتخيلة" أو فلسطين الأحلام، وفلسطين "المسموح بوجودها اليوم" أو فلسطين الواقع حسب "المعايير والاتفاقيات الدولية". وتبين أن الرواة يبنون سردياتهم لفلسطين من مصادر عدة: فتأتي تجاربهم ومشاهداتهم في الحياة في الدرجة الأولى، تليها ذاكراتهم و/أو الذاكرة التي ورثوها عن الآباء، بينما يظهر في بعض الروايات تأثير الانتماء الحزبي و/أو الديني والخطاب الإعلامي، الذي يتدخل أيضاً في إضفاء أبعاد رمزية ومادية لصورة فلسطين. ومن حيث المضمون، تغطي الروايات – التي صنفتها ضمن ثمانية أنماط – محاور عدة، لعل أكثرها بروزاً: الحياة في فلسطين قبل عام 1948، والمسيرة السياسية الفلسطينية في الماضي والحاضر معنونة بما قبل أوسلو وبعده، والرؤية المستقبلية والحياة في المخيم. ويتميز كل نمط من أنماط الروايات بسيادة أسلوب معين، وأحياناً موضوع معين لتقدم الدراسة بمجملها روايات متنوعة لفلسطين تتراوح في مضامينها بين الاجتماعي، والتاريخي، والأدبي، والسياسي. تختلف مضامين أجزاء الروايات وأشكالها بين الأنماط المختلفة، ليبدو وكأن الراوي يستذكر الماضي الذي ورثه غالباً عن أبيه وأمه ويعيد تشكيله بعيون الحاضر، متأثراً بتجاربه الحياتية وانتماءاته السياسية وقراءاته ومشاهداته للأحداث، سواء بشكل مباشر (قلنديا) أو غير مباشر عن طريق المحطات الفضائية والإنترنت (اليرموك وقلنديا).[14] ويلاحظ من عرض الروايات بأنماطها الثمانية أنه لا توجد علاقة مباشرة للاختلافات فيها بمكان اللجوء بما أن المخيمين – اليرموك وقلنديا – يسهمان في

14 تتفق هذه النتيجة مع ما أوردته في الفصل الثاني، وبالتحديد حول فكرة هالبواكس في كتابه (On Collective Memory) من أن "الأفكار والاهتمامات والطموحات التي يحملها الأفراد في الحاضر تؤثر في تشكيلهم لرؤى مختلفة للماضي" (Halbwach 1992, 183).

رسم الصورتين. سأكتفي هنا بعرض مختزل للصورتين ويمكن الرجوع إلى تقرير الرسالة للتعرف على روايات الأنماط المختلفة بعمق أكبر.

تقترب صورة فلسطين الواقع من الصورة الممكنة والمسموح بوجودها بواقع 47 رواية من المخيمين تميل إلى اختزال فلسطين إلى بعد واحد، هو الممكن المكاني، أي البعد الجغرافي، فتركز الروايات هنا على اليومي والحاضر والممكن والسياسي أكثر من تركيزها على الماضي والتاريخي والمأمول في المستقبل، لتثير ردود فعل تزرع في النفس الإحباط، أو الرغبة في الهروب من آثار الاقتلاع المستمرة بتقبل الفاعل الاجتماعي (الرواة هنا) لمبررات حزبية أو فكرية مؤطرة بالواقعية السياسية، أو الانسحاب من التاريخي للانغماس في صراع البقاء اليومي. وعلى هامش صورة الواقع المسيطرة على المشهد، يقف الجزء الآخر من الرواة – وعددهم 35 راوياً وراوية من المخيمين – الذين يحاولون استقراء صورة مختلفة عن الصورة الواقعية التي فرضها الشرط الاستعماري الخارجي، تساعدهم عوامل عدة منها اهتمامهم بالقضية الجمعية لتنعكس في مشاريعهم الشخصية فتثير لدى الفاعل الاجتماعي هنا مواقف مختلفة منها الرغبة باستعادة ماضي البلاد الجميل، أو الغضب ورفض التخلي عن الحلم، والابتعاد عن الوسائل التي تؤجل تحويل الحلم إلى واقع، أو الرغبة التي يرافقها العمل و/أو الإرادة من أجل خلق إمكانيات وجود فلسطيني جديد. ولا تقتصر هذه الروايات على البعد المكاني فقط، وإنما يتداخل فيها بعدا الجغرافيا والتاريخ، حيث يقرأ الرواة أحداث الماضي والحاضر قراءة نقدية ومقارنة مستندين إلى مخزون من الذاكرة المتقاطعة مع الوعي الفكري والتنظيمي أو الحزبي.

3. استنتاجات البحث

وفيما يلي أقدم عرضاً مختصراً لأبرز الاستنتاجات من حيث الحدث الرئيسي في روايات المبحوثين، والاختلافات الموجودة في مضامين الروايات بين المخيمين، ودور المؤسسات الاجتماعية في تشكيل الذاكرة والرواية الفلسطينية.

3-1. الحدث الرئيسي في روايات المبحوثين

تظل النكبة المكان المشترك للذاكرة في ذهن اللاجئين أو الرواة الذين قابلتهم. فقد ظهرت في معظم الروايات كلحظة الاقتلاع العنيف من المكان، والمقصود بالمكان هو "البلاد" أو "الأرض" التي انتُزِعَت من اللاجئين لتصبح بلاداً لآخرين، إلا أن الرواية تتشكل من أصوات متعددة بتعدد تجارب رواتها في الزمان والمكان: الزمان الذي يفصل بينهم وبين لحظة الاقتلاع، والمكان الذي يشغلونه في المساحة الممتدة بين الواقع الاستعماري الاقتلاعي والخطاب الدولاني الحقوقي والشعاراتي الذي يغزو الفضاء العام. يعكس اختلاف التجارب بين الرواة، اختلافاً في الصور التي يحملونها لفلسطين في رواياتهم. ويُلاحَظ أن نكبة 1948 تحولت في بعض الروايات إلى مكان للذاكرة بمفهوم بيير نورا (Nora 1996)، وبخاصة بين الرواة الأصغر سناً، حيث اتخذت في رواياتهم صيغة شعار ومناسبة يتم إحياؤها، من خلال عمل مُمأسس. ليطل حدث آخر هو اتفاقيات أوسلو التي يمكن أن توصف كلحظة توتر في معظم الروايات على اعتبار أن أوسلو، شكل لحظة التجسيد المادي للشرخ في صورة فلسطين –بين الواقع والأحلام– كما تتجلى على

أرض الواقع وفي الخطاب الفلسطيني الرسمي متمثلاً بانتقال مركز ثقل المنظمة من الخارج إلى الداخل، والتغير الذي تطلبه هذا الانتقال في المشروع الفلسطيني، من مشروع تحرير إلى مشروع تدويل. إلى جانب النكبة، تظهر اتفاقيات أوسلو كحدث رئيسي في روايات جميع الأنماط، باستثناء النمط المسحوب من التاريخي إلى اليومي، وقدم أغلب الرواة، باستثناء جزء من رواة النمط المأسور بالمشهد المحيط، قراءة نقدية لمشروع أوسلو كشكل من أشكال مقاومة الخطاب المهيمن من قبل النخبة السياسية التي تقود الفلسطينيين عامة، وليس اللاجئين حصراً.

3-2. الاختلاف في مضامين الروايات بين المخيمين

بالرجوع إلى تحليل روايات كل نمط يمكن أن نستخلص أن التجربة الحياتية التي تسيطر عليها الحالة الاستعمارية لا تزال تلعب الدور الرئيسي في بناء روايات اللاجئين في حالة قلنديا. لذا تتركب أجزاء صورة فلسطين في روايات قلنديا من قصص طويلة تصف الاضطهاد الذي تفرضه السلطات المختلفة التي تناوبت في حكم أو إدارة شؤون البلاد، تقابلها قصص أقصر تصف المقاومة. بينما يبني اللاجئون في سوريا رواياتهم عن فلسطين بتأثير عوامل متداخلة: المعاناة المستمرة الناجمة عن اللجوء والتشتت، التي تظهر بشكل مختلف بين الأنماط المختلفة. وهناك عامل آخر هو الصراع الذي يعيشه الأشخاص في المخيمين بين الهيمنة الأيديولوجية المركبة (من الخطابات السائدة سياسية و/أو فكرية أو/و حزبية) وتجاربهم الحياتية، والظروف الناشئة عن الحالة الاستعمارية العامة، إضافة إلى ظروف اللجوء في سوريا التي ساهم توجهها القومي بمنح اللاجئين الفلسطينيين حقوقاً أكبر من تلك التي منحتهم إياها دول أخرى،[15] ما شجع بعض الرواة في اليرموك على تجاوز الشرط الواقعي المسموح به للوجود الفلسطيني.

ومع أن الروايات التي تتشكل في المخيمين تتوزع على الأنماط الثمانية كلها، فإنها تختلف من حيث المضامين. أورد هنا الاختلاف في قصة البلاد والهجرة على سبيل المثال: ترد "قصة البلاد والهجرة" بتفاصيل أكبر لدى الجيل الموجود في مخيمات الخارج مع الأخذ بعين الاعتبار أنه توجد اختلافات في القصة بين الأجيال في المخيم الواحد. لكن بشكل عام، ذاكرة اللاجئين في مخيم اليرموك كانت تزخر بتفاصيل أكثر حول القرية وحياة أجدادهم فيها وقصص المقاومة والمجازر ورحلة التهجير الطويلة وتشتت العائلة وتنقلها في أكثر من مكان، بينما نجد في فهرس ذاكرة اللاجئين في قلنديا وصفاً بسيطاً لقصة القرية والحياة البسيطة فيها التي تعتمد على الزراعة لتحتل قصص المواجهة المباشرة مع الاحتلال في الفترات المختلفة والأحداث السياسية الراهنة الجزء الأكبر من صفحات الذاكرة: (خاصة الانتفاضتين الأولى والثانية). في روايات قلنديا

15 بعد النكبة، تبنت الحكومات السورية المتعاقبة نتيجة للدوافع القومية العربية موقفاً داعماً للفلسطينيين وحقهم في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم. وضمنت للاجئين منهم في سوريا الحقوق نفسها والاحترام نفسه اللذين يحظى بهما المواطن السوري، بما فيها حقوق التوظيف والعمل والتجارة وخدمة العلم وحق التملك (لأكثر من محل تجاري ولشقة سكنية واحدة) ... ومن حيث الجنسية، يحتفظ الفلسطيني بجنسيته الفلسطينية لكنه يحصل على هوية سورية مسجل عليها بلد الأصل (حيفا، يافا) لتسهيل أمور الإقامة. وبذلك حصل اللاجئ الفلسطيني على الحقوق المدنية نفسها التي يتمتع بها المواطن السوري تقريباً باستثناء حق الترشح والانتخاب للهيئات الرسمية والتشريعية والتنفيذية في سورية، أي لمجلس الشعب والرئاسة" (بديل 2000، 34-36).

تحديداً، كثيراً ما يختلط وصف الحياة الفلاحية المسترجعة من ذاكرة الآباء بالملامح التي اختزنها الراوي/ة من زيارته لقريته المهدمة، لتختلط مشاعر الحنين بمشاعر الصدمة والحسرة واليأس من استعادة الماضي. وهذا ما يفسر، جزئياً، ازدياد عدد الواقعيين في قلنديا عن عددهم في اليرموك، ويمكن قراءة هذه النتيجة بوضوح بمقارنة مضامين قصص البلاد والهجرة بين روايات الصورتين، ويلاحظ هذا بشكل خاص ضمن نمط الحالم بالماضي الجميل، الذي يظهر بصورة أكبر بين رواة مخيم اليرموك.

3-3. دور المؤسسات الاجتماعية في تشكيل الذاكرة والرواية الفلسطينية

هناك تداخل بين تأثير المؤسسات الاجتماعية المختلفة على بناء وتشكيل ذاكرة اللاجئين عن البلاد في الماضي ورؤيتهم للحاضر والمستقبل، فالمؤسسة سواء أكانت العائلة أم المدرسة أم المؤسسة الدينية أم الحزبية أم السلطة المتنفذة (سلطة الاحتلال، سلطة الحكم الذاتي، سلطة المجتمع المضيف)، جميعها، في الأساس، قوى اجتماعية لها مصالحها المادية، وهي تمارس تأثيرها، حسب الظروف، بدرجات مختلفة. وبهذه الطريقة تحكم الطبقات السائدة سيطرتها على الشعب، ليس بالضرورة من خلال القوة والإكراه، وإنما من خلال فكرة "الحس البديهي" (common sense) حسب تعبير غرامشي الذي يضمن خلق أفراد وجماعات تستسلم بإرادتها لقبول الواقع على سوئه، وتوافق بشكل عفوي على هيمنة الطبقة المسيطرة على الحياة الاجتماعية. باستعراض سريع للحالة الفلسطينية، نلاحظ أن منظمة التحرير التي تشكلت في الخارج، وضمت مجموعة من الفصائل الفلسطينية بعد عام 1967، التي رفعت حينها شعار الكفاح المسلح كخيار وحيد، قد ساعد على هيمنة القيادة الفلسطينية التي سمّت نفسها "الشرعية"، بما يعزز دورها المهيمن على فئات واسعة من الفلسطينيين الذين كانوا يرتبطون مع مؤسساتها المختلفة: المثقفون، القطاعات العمالية والطلابية والاتحادات المختلفة. "ليعطي العمل الوطني الفلسطيني صورة عن قلب العلاقات بامتياز: تبدأ المؤسسة من وطن ومشروع وطني وتعيد في تحولاتها السلطوية تنظيم العلاقات، فتصبح المؤسسة هي البدء، والوطن علاقة تابعة" (دراج 1996، 29).

ويظهر في بعض مقاطع الرواة هنا رؤيتهم وقراءتهم للواقع الفلسطيني، التي يوجهونها لتتناسب والتوجهات السياسية للحزب الذي ينتمون إليه، فنلاحظ حلول الخطاب الشعاراتي المتناقض أحياناً والتبريري معظم الأحيان، محل الرواية التاريخية. ويمكن إرجاع هذا التناقض في الخطاب إلى الحيز الضيق الذي يفرضه الواقع أمام الراوي الذي اختار العمل في المجال العام، فيهيمن الخطاب الحزبي على تفكيره بوعي أو بدونه ليتخذ الراوي موقعاً دفاعياً شمولياً عن الحزب أو النهج السياسي، وتضيق روايته الخاصة عن فلسطين أو تتسع حسبما تضيق أو تتسع الحدود المفروضة في الرواية الحزبية. حيث تبدو أجزاء من بعض الروايات كأنها صنيعة الخطاب الرسمي المهيمن أو السائد اليوم، الذي يعطي أولوية لبناء الدولة "المسموح بها" على حل مشكلة اللجوء، والتخلص من اضطهاد المستعمر المستمر منذ 62 عاماً. وقد يكون هذا بتأثير موقع الرواة الاجتماعي والثقافي الذي يعطيهم رأس مال رمزياً يضعهم في مصاف (النخبة)، ومع أن الرواة هنا، هم لاجئون من أبناء المخيم أساساً، فإنهم يصنفون أنفسهم في موقع العارف،

على ما يبدو من منطلق امتلاكهم "رأس مال رمزياً"،[16] الأمر الذي باعتقادهم، يؤهلهم للحكم على الواقع اليوم واقتراح الخيار الأنسب للمصلحة العامة:

" أنا بعرف بالضبط وين هي المصلحة الوطنية الفلسطينية. المصلحة الوطنية الفلسطينية تكمن في إعادة اللُحمة للصف الفلسطيني. التنازل عن الشعارات الرنانة الصعبة التحقيق، والامتثال للواقع بما لا يتنافى مع الثوابت الفلسطينية. يعني مثلاً أنا هذا البيت إلي، بيتي، يعني لا يمكن أطلع منه إلا وأنا ميت يعني مثلاً واحد ييجي يستعمل البيت هذا ويوخذه مني. بقدر يوخذوه بس بعد إيش بعد ما أكون أنا ميت! ولكن ما دام حي مستحيل! هالقيت فش واحد عنده وعي وبقول هيبيه ماتوا والبيت بتغيّر، لا بتغيّرش بيتي، وراح أموت في الدفاع عنه. هذا ثابت من الثوابت. إذاً أي تضحية من أجل هذا الثابت لا تُعتبر مغامرة بالعكس تُعتبر تلبية للنداء الأيدولوجي، لأنه إحنا بنقول إحنا مُادلجين أصحاب مبدأ. مبدأنا المحافظة على حدود فلسطين بأراضي الـ67. بدنا إحنا نقيم عليها يعني بكفيش إحنا تنازلنا عن حدود الـ48؟! .. ".[17]

يتشابه هذا المقتطف مع أجزاء من الرواية السياسية المهيمنة اليوم (*hegemonic Grand Narrative*). وهذا نموذج لتحول الخطاب المسيطر إلى حالة من الهيمنة، سواء أكان بتأثير أيديولوجي حزبي ومستند إلى ماض نضالي، أم بتأثير أيديولوجيا سياسية وفكرية ونضالية، فيموضع الرواة أنفسهم في مصاف النخبة المثقفة التي لها الحق في ممارسة نوع من الهيمنة، على الأقل من خلال تقديم رؤيتهم لمشروع الحل على أنه المشروع الوحيد الممكن، الذي يجب التوصل إلى إجماع (*consensus*) بمفهوم غرامشي لتنفيذه.

وبهذا تعمق اغتراب اللاجئ ليغرق في صراع بين المأمول والممكن تتجاذبه مشاعر العجز والإحباط والرفض والمقاومة للقيود التي تفرضها هذه المؤسسات على حياته. وليس غريباً أن تكون أعلى أصوات الرفض موجهة لقوى الداخل: قيادة وأحزاب، وبخاصة بعد التحول الذي طرأ على القيادة الفلسطينية من قيادة برجوازية صغيرة ترفع راية الثورة والكفاح المسلح تحت شعار التحرير وعودة اللاجئين، إلى مؤسسات بيروقراطية وجودها مرهون بخدمتها لمشروع

16 باستعارة المصطلح من بيير بورديو، على اعتبار أن الرواة يتميزون لاعتبارات تتعلق بمستواهم التعليمي/الثقافي و/أو المهني/الاقتصادي، بالإضافة إلى "التاريخ النضالي" لبعضهم. هذه الميزات من الممكن أن تمنحهم رأس مال رمزياً يضعهم في مصاف النخبة كما ذكرت سابقاً. يعرّف جميل هلال النخبة إجرائياً "بما تملكه من تأثير على مسار، أو حركة، أو التغيير في واحد أو أكثر من الحقول التالية: الحقل السياسي، سواء أكان هذا في مجال ممارسة السلطة أم في المعارضة السياسية (الأحزاب والحركات السياسية)؛ أم في مجال منظمات المجتمع المدني أم الأهلي (خارج الأحزاب أو الحركات السياسية)، أم في الحقل الاقتصادي–المالي (كبار رجال الأعمال وكبار أصحاب رؤوس الأموال والمستثمرين)، أم في الحقل الثقافي (كبار الأدباء والأكاديميين والباحثين والفنانين والصحافيين)، أم في الحقل الإعلامي، أم على صعيد التأثير في الرأي العام (رؤساء تحرير الصحف، والمشرفين على الإذاعات والتلفزيونات الخاصة) .... (هلال 2002, 10-12). وبالنسبة لرواة النمط الواقعي السياسي الذي اقتطفت منه هذا المقطع، فهم كما شرحت يمتلكون واحداً أو أكثر من هذه الصفات، فهناك الأكاديمي، والكاتب، والصحافي، والسياسي، والسياسي العامل في مؤسسة سلطة تعنى بشؤون اللاجئين تحديداً.

17 مقتطف من رواية أجريتها مع شاب قابلته في قلنديا في شهر تشرين الثاني 2008. وقد تكررت هذه الفكرة في روايات لاجئين آخرين في مخيمي اليرموك وقلنديا.

التسوية السياسية في ظل استمرار الشرط الاستعماري بإجراءاته القمعية المتصاعدة، وتغييب أية إستراتيجيات لمواجهة هذه الإجراءات. هذه الحالة القلقة هي التي تضع اللاجئ في حالة البحث عن طرق لتجاوز اغترابه، بالبحث عن مقومات الاستمرار، البقاء وإبقاء قضيته حية. وشأن مختلف المجتمعات في عصر العولمة، يتأثر الفلسطيني بأفكار وآراء متنوعة تأتيه من الفضائيات وشبكة الإنترنت، لتنمي قدرته على النقد، بما يقلل من فرص قدرة المؤسسات المذكورة على الهيمنة، وبالتالي تصبح هي نفسها، سواء أكانت الحزب أم السلطة الحاكمة محط نقد. والعامل الآخر الذي يظهر تأثيره في معظم روايات اللاجئين هو التجربة الحياتية وتأثير الأحداث والمتغيرات السياسية اليومية على الرواية. لذا، تنتج الرواية عن الصراع بين هذه العوامل المختلفة في ذهن اللاجئ.

4. خاتمة: صورة فلسطين 2008

إذا حاولت استخلاص الملامح العامة المشكلة لصورة فلسطين في روايات اللاجئين التي جمعتها هذه الدراسة، يبدو واضحاً أن الرفض والغضب سمتان تصبغان معظم الروايات، وإن اختلفت شدة الرفض وحدة الغضب بين الأنماط المختلفة. الرواية هي رواية للاغتراب الفلسطيني، اغتراب مادي عن الأرض، واستلاب إنساني، وضياع، وتشتت. والصوت الغالب هو الصوت النقدي الموجه في الغالب للسياسة الفلسطينية بممثليها قيادة وأحزاباً أكثر مما هو موجه للاستعمار الكولونيالي وأدواته. فالتفكير النقدي هنا موجه للواقع الحاضر الرديء الذي لا يعد بإمكانية للتغيير الإيجابي في المستقبل، بما يضع حداً لحالة الاقتلاع التي ألمت بهؤلاء اللاجئين في الماضي.

إن الصورة التي يقدمها اللاجئون اليوم لفلسطين بجانبها النقدي، قد لا تبدو تاريخاً بالمنظور الرسمي النخبوي للتاريخ، لكنها تعبر عن الضمير التاريخي للشعب الذي عايش اللحظات التاريخية ولا يزال يعيش نتائجها، ويحق له اليوم المساهمة في صنع اللحظة التاريخية القادمة، وليس في كتابتها فحسب. ينطلق الرواة الذين رسموا الروايات الأكثر نقدية في تشكيل صورة فلسطين من واقع فلسطين اليوم، الذي يجمعون على وصفه بالسيئ. وبإلقاء نظرة شمولية على الصور المتشكلة، يمكن وسم الصور التي تشكلها الروايات الشعبية بأنها صورة نقدية تُشَرِّح الوضع الماضي والحالي بمعايير تختلف باختلاف دور الراوي/ة ومشاركته في الأحداث التي تشكل روايته ودرجة وعيه السياسي؛ في بعض الروايات، يبدو النقد أقرب إلى التذمر والشكوى التي تعكس مشاعر اليأس والحزن المسيطرة على الراوي كما في روايات النمط المحبط، بينما يرتفع صوت النقد ليتحول إلى قراءة تحليلية لأحداث أو شخصيات معينة أو للوضع ككل لتبدو أقرب إلى مراجعة نقدية للمسيرة الفلسطينية بأبعادها التاريخي، والسياسي، والاجتماعي، وتبرز أعلى الأصوات الناقدة ضمن فئة الأشخاص النشيطين في الحياة السياسية العامة، وبخاصة أولئك الذين شاركوا في العمل السياسي والعسكري والاجتماعي، ويتوزع هؤلاء الأشخاص على أكثر من نمط:

" في الأول كانت القضية أهم من المصاري، مثلاً لما كان يصير منع تجول، لما انقتل أبو جهاد وأبو إياد ويصير منع تجول بالثلاثة أشهر وما يقدروا يطلعوا الناس، ما كان حدا يجوع. أنا بيتي

قريب كنا نيجي ونوزع الخبز على الدور ولما توصلي دار تقول تعالي يا أم فلان تقول: والله أنا عجنت ومش محتاجة أما جارتي هديك والله ماعندها طحين. كانت الناس تحترم بعض وتعين بعض .. اليوم الأرض عم تسحل، والقدس خلصت ونحنا متمسكين، بدنا القدس القدس، طب ما هي القدس صرلها 40 سنة بتسحل، طب ما هو اللي كانوا ساكنين في القدس أعطوا الدور لليهود وطلعوا، أخدوا الفلوس وبنوا خارج البلد، وين كنتوا انتم؟ وين كانوا؟ وايش أحافظ على ايش أنا كفرد؟ حافظت، والجدار أخذ كل الأراضي؟ طب من بنى الجدار؟ من جاب اسمنت الجدار؟ احنا؟ من؟ هم؟ وين كان كله هذا؟ طب ما هو هلا احنا اللي عمالنا بنحكي، بنحكي على قديش؟ بنحكي على 25%, شو النا؟ وين ضل؟ أنت لما بدك تروحي ع بيت لحم، بتروحي على الالتفافي هذا، بتبقي معلقة فوق، بتقولي هلا أنا بهوى تحت الأرض، ايش ما حطولنا بنقبل، حطولنا الحواجز قبلنا، حطولنا الجدار قبلنا، قامولنا الشوارع الالتفافية قبلنا. ايش احنا عاملين؟ قولي لي؟ ايش عاملين؟ ونحافظ على ايش؟ كل الشباب هلا عم بتهاجر، وينها؟ ايش بتشتغل؟ ولا اشي، عم بيعملوا كرتونات، مؤسسات مثل الكرتونة ما فش الها جذور، تدش عليهم الأموال، ايش فكرك يعني؟".[18]

يتركز الصوت النقدي بالدرجة الأولى حول العوامل الذاتية: الحركة الوطنية الفلسطينية، أوسلو، وممارسات السلطة الفلسطينية. ويمكن عزو هذا، اعتماداً على الروايات، إلى الوضع الرديء السائد وقت إجراء المقابلات بسبب المشاكل الداخلية بين "فتح" و"حماس"، وسيادة حالة من الضياع والأنومي–اللامعيارية،[19] وانعدام الرؤية الواضحة المبنية على مشروع يسير نحو إنهاء حالة الاقتلاع المستمرة منذ اثنين وستين عاماً، وما يرافقها من ظلم واضطهاد. وتختلف رؤية اللاجئين للمخرج من هذه الحالة باختلاف أصولهم السياسية والفكرية كما اتضح من الأنماط المختلفة.[20] بالنتيجة، لا يمكن تحديد عامل واحد يشكل صورة فلسطين لدى اللاجئين في المكانين، فهي لا تتشكل بالحنين والتوق إلى الوطن الضائع فقط؛ ولا بالتوق إلى الإحساس بالأمان والحصول على حقوق المواطنة كما استنتجت بيتيت في بحثها في المخيمات اللبنانية (Peteet 1995, 215)؛ ولا بالتوق إلى استعادة مقومات الهوية التي فقدوها والتخلص من وصمة لاجئ(Chatty and Hundt 2005) ، لهذا ليس من الغريب أن يوجه اللاجئون نقدهم إلى اتفاقية أوسلو والسياسات التي تبعتها كونها كرست حالة اللامعيارية، إضافة إلى أنها لم تأخذ القضية الأساسية، قضية اللاجئين، بعين الاعتبار.

هناك صور أخرى للحفاظ على الذاكرة لم تتناولها روايات اللاجئين الذين قابلتهم، لكني لاحظتها في زياراتي لمقابر من غيبهم الموت في مقابر المخيمات. في كل مرة كنت أدخل فيها إلى

18 مقتطف من رواية لسيدة التقيتها في مخيم قلنديا في شهر تشرين الأول 2008.

19 بحد تعبير إميل دوركهايم، وقد وضحت في فصول الرسالة، ومن خلال استعراضي لروايات اللاجئين، هذه المقاربة بين مفهوم دركهايم للأنومي وحالة الضياع التي يشعر بها الفلسطينيون اليوم في أماكن تواجدهم المختلفة، بما يرتبط بالتخبط وانقلاب المعايير في المسيرة الوطنية الفلسطينية.

20 يرتفع منسوب النقد بين الرواة الأكثر اهتماماً بالسياسة ليتحول الجزء الأكبر من الرواية إلى قراءة نقدية في الواقع الفلسطيني على امتداد مراحله.

المقبرة، كان ينتابني الشعور نفسه: الهدوء والترتيب المتناقض مع ضوضاء وفوضى المحيط. لكن سرعان ما كنت أكتشف أن المقبرة التي تسمى مقبرة الشهداء تحكي جزءاً من الحكاية: شواهد القبور للاجئين من الأجيال الثلاثة استشهدوا أو ماتوا ميتة ربهم كلها منقوشة باسم البلد أو القرية الأصل في فلسطين، لترسم خارطة فلسطين الطبيعية، التي يمكن قراءتها كتعبير جمعي لرفض النسيان. وهنا أستذكر قراءة فيصل دراج لنظرية فالتر بنيامين في التاريخ: "إذا كان في استذكار الماضي المغلوب ما يثير الأسى، فإن في وحدة الأحياء والأموات ما يثير الأمل" (دراج 2006، 161).

إن قضية اللاجئين هي من أخطر وأعقد القضايا المرتبطة بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، التي تمثلت في تشريد وتهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين، الذين ازدادت أعدادهم بشكل مطرد. ونتيجة لذلك، فقد برزت العديد من المشاكل والقضايا التي تم تناولها في سياق هذا الكتاب. برزت هذه المشاكل في الجوانب السياسية التي تمثلت في تعثر عملية المفاوضات حول حق العودة للاجئين، وبالتالي إخفاق الأطراف المعنية لرسم حلول مستقبلية لهذه القضية. أضف إلى ذلك المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها اللاجئون في الدول المضيفة، والتي أدت إلى تردي أحوالهم المعيشية بشكل ملحوظ. ولم يقتصر التهجير والتشريد على الحدود الخارجية، وإنما شمل التهجير الداخلي والنقل القسري للسكان، وهذا ما يبرر الاهتمام بقضية إبعاد المقدسيين، وبالوضع القانوني للمشردين داخلياً. في الوقت ذاته، لم تغفل الدراسات الأكاديمية الواردة في هذا الكتاب دور وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين بما فيها احتياجاتها، والتحديات التي تعيق عملها وتحول دون تأديتها دورها، مع الإشارة إلى وضع اللاجئين في قطاع غزة.

حول معهد إبراهيم أبو لغد

أنشئ معهد الدراسات الدولية في جامعة بيرزيت عام 1998 لرعاية برنامج الماجستير الذي بدئ العمل به لأول مرة عام 1994. ولقد تمت إعادة تسمية المعهد عام 2002 نسبة لمؤسسه الراحل الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو لغد (1929–2001). يعد المعهد من المؤسسات الفلسطينية المتخصصة في مجال الدراسات الدولية التي تمنح درجة الماجستير في هذا الحقل. ويقدم البرنامج تركيزين فريدين من نوعهما في فلسطين، أولهما تركيز الهجرة القسرية واللاجئين، وثانيهما الدبلوماسية. كما يستضيف المعهد مشروع الأرشيف الفلسطيني في جامعة بيرزيت، ويوفر فرصاً وإمكانيات عديدة للطلبة والأكاديميين والمتخصصين في مجال الدراسات الدولية ولصانعي القرار الفلسطيني من خلال برامجه الأكاديمية المتمثلة بالأبحاث والمؤتمرات والندوات الدولية والمحلية ومكتبته المتخصصة.

حول وحدة الهجرة القسرية واللاجئين

تأسست الوحدة عام 2009 كجزء من معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، حيث تعتبر هذه الوحدة الأولى من نوعها في فلسطين. تهدف الوحدة إلى تأهيل وتوفير الكوادر المتخصصة وتعزيز قدرات الباحثين والأكاديميين وتشجيعهم على البحث العلمي في مواضيع ذات علاقة بالهجرة القسرية واللاجئين. وتقدم الوحدة تركيزاً في دراسات الهجرة القسرية واللاجئين ضمن برنامج الماجستير في الدراسات الدولية، وتضيف بعداً أكاديمياً جديداً وهو البعد الدولي المقارن في مجال دراسات اللاجئين والهجرة القسرية.

ISBN 978- 9950 -316 -42 -3

اللاّجِئونَ الفِلَسطينيّونَ: حُقوق، وروايَات، وسِياسَات

2011

جميع حقوق الطبع محفوظة

ISBN 978- 9950 -316 -42 -3

وحدة الهجرة القسرية واللاجئين

معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية

جامعة بيرزيت، ص.ب 14، بيرزيت– فلسطين

تلفاكس: 2982939(2)970+ أو2982939(2)972+

بريد إلكتروني: ialiis@birzeit.edu

الصفحة الإلكترونية:/http://home.birzeit.edu/ialiis

http://home.birzeit.edu/ialiis/fmru

طبع هذا الكتاب بدعم من:

International Development Research Center (IDRC)

تحرير النص: عبد الرحمن أبو شمّالة

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية

لمحة عن الباحثين

أباهر السقا: أستاذ مساعد في علم الإجتماع في جامعة بيرزيت، متخصص في علم الإجتماع السياسي، وعلم اجتماع الأدب والثقافة. إهتمت أبحاثه بالحدود الإجتماعية–الثقافية في فلسطين. حاضر سابقاً في جامعة «نانت» في فرنسا.

أشرف صيام: طالب دراسات عليا في برنامج الماجستير في القانون في جامعة بيرزيت.

جلال الحسيني: باحث مشارك في المعهد الفرنسي للشرق الأوسط في عمان. متخصص في الاتجاهات السياسية والإنسانية لقضايا اللاجئين الفلسطينيين. كما قدم استشارات في العديد من المؤسسات الدولية والمحلية من ضمنها الأنروا.

رانيا زبانة: صحفية فلسطينية، حاصلة على شهادة الماجستير في الصحافة من جامعة كولومبيا في نيويورك. كما تحمل شهادة الماجستير في الديمقراطية وحقوق الإنسان من جامعة بيرزيت.

روجر هيكوك: أستاذ التاريخ في جامعة بيرزيت. ركزت أعماله على التاريخ الأوروبي والمتوسطي والدولي في الفترة الحديثة والمعاصرة، وحديثاً فقد ركزت أعماله على التأريخ ونظرية المعرفة للزماني والمكاني.

سليم تماري: باحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومدير سابق لمؤسسة الدراسات المقدسية التابعة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ورئيس تحرير"Jerusalem Quarterly" وحوليات القدس. أستاذ علم الاجتماع في جامعة بيرزيت وقام بتأليف العديد من الأعمال عن الثقافة الحضرية، وعلم الإجتماع السياسي، والسيرة الذاتية، والتاريخ الاجتماعي، والتاريخ الاجتماعي لشرق المتوسط.

شعوان جبارين: مدير عام مؤسسة الحق.

عاصم خليل: أستاذ مساعد في القانون في جامعة بيرزيت، ومدير معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية. تركز أبحاثه على القانون الدستوري والقانون الدولي لحقوق الإنسان.

عباس شبلاق: باحث، مركز دراسات اللاجئين، جامعة اكسفورد، المملكة المتحدة. متخصص في مجال اللاجئون الفلسطينيون، الهجرة / المغتربون/ المهاجرون واللاجئون. وله عدة دراسات في هذا المجال.

عبد الله أبو عيد: أستاذ سابق في القانون الدولي وحقوق الإنسان والعلاقات الدولية في جامعتي النجاح وبيرزيت. قام بتدريس العديد من المواضيع حول قضايا الشرق الأوسط، واللاجئين في جامعات مختلفة في فلسطين والجزائر والولايات المتحدة وبلجيكا. حاصل على منحة Fulbright مرتين كأستاذ زائر في جامعتين مميزتين في الولايات المتحدة، كما حصل مرتين على زمالة بحثية من مؤسسة DAAD في جامعة ميونخ في ألمانيا، كذلك فقد حصل على زمالة بحثية مرتين في مواضيع المياه والبيئة في جامعة SOAS في لندن من خلال منحة مقدمة

من المجلس البريطاني. قام بنشر عدد من الدراسات باللغتين العربية والإنجليزية، حول اللاجئين، حقوق المياه وقضايا في فلسطين وقضايا قانونية تتعلق بفلسطين تحت الاحتلال. شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية. يقوم حالياً بتدريس بعض مواضيع القانون في جامعة بيت لحم.

فيرونيك بونتو: حاصلة على شهادة الدكتوراة في علم الإنسان الإجتماعي، الممارسات الحضرية والموروث في نابلس، من خلال الإثنوغرافيا في مصانع الصابون. مقيمة حالياً في عمان وتعمل على بحث ما بعد الدكتوراه في مركز أبحاث التنمية حول ممارسات التنقل بين الضفة الغربية والأردن.

فيليبو غراندي: المفوض العام لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا).

لورا عدوان: طالبة دكتوراه في علم الإنسان في جامعة بيرجن في النرويج.

مجدي المالكي: أستاذ مشارك في علم الإجتماع في جامعة بيرزيت. متخصص في علم الإجتماع الريفي الفلسطيني، وهو موضوع أبحاثة ومنشوراته. وهو يدرّس مناهج البحث في العلوم الإجتماعية. وقد قام بإعداد العديد من الدراسات لمعهد أبحاث السياسات الإقتصادية الفلسطيني (ماس).

محمود أبو صوي: طالب دراسات عليا في برنامج الماجستير في القانون في جامعة بيرزيت.

ياسر شلبي: باحث مستقل وله عدة دراسات في المجال الإجتماعي بما فيها الهجرة.